تعامل الدولة العباسية الاقتصادي مع النصارى في بغداد

م.د. شاكر وادي جابر الاسدي جامعة البصرة/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

م.د. سالم لذيذ والي الغزي المديرية العامة لتربية ذي قار

Journalofstudies2009@gmail.com

الملخص:

فتح الشرع والروح العربية الإسلامية الأبواب أمام النصارى وغيرهم من أهل الذمة، ليمارسوا حياتهم الاقتصادية بحرية وينعموا بقدرٍ هائل من دعة العيش وترفه، فهم لم يجدوا أي عائق أمامهم في امتهان أي عمل يريدونه فمارسوا شتى الأعمال، الرسمية والحساسة وغيرها بدون أية حساسية أو ضغينة من أي طرف، بل أن بعض الوظائف والأعمال أصبحت حكراً عليهم، وهو أمر ارتضاه وتقبلهٌ أبناء المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي بكل اقتناع وبساطة.

الكلمات المفتاحية: (تعامل، الدولة العباسية، النصارى).

The Abbasid state's economic dealings with the Christians in Baghdad

Shakir wadi jabber al-asadi
Basra University/College of Education for Human Sciences/History Department
Salim Latheth Wally
General Directorate of Education Dhi Qar

Abstract:

Sharia and the Arab-Islamic spirit opened the doors for Christians and other dhimmis, to freely practice their economic life and enjoy a great deal of comfort and luxury. A party, but some jobs and jobs became a monopoly on them, which is something that was accepted and accepted by the people of the Arab Islamic community in the Abbasid era with all conviction and simplicity.

Keywords:(dealing, Abbasid state, Christians)

المقدمة

تعاملت الدولة العباسية مع النصارى في بغداد بصورة متباينة، فقد مارسوا شتى انواع الوظائف الرسمية والمهن والتي درت عليهم موردا ماليا ممتازا جعلتهم يعيشون بمستوى عال من الرفاهية المادية، فلم يغلق العباسيون امامهم اي باب من ابواب الرزق ولم توضع امامهم اي عوائق من اي نوع، فقد شاركوا المسلمين اعمالهم الاقتصادية وذاقوا تقلبات الحياة بحلوها ومرها، وظهرت من بينهم أسر اشتهرت بمهن محددة، فقد تفوق النصارى في مهن كالكتابة والطب والتي كادت ان تكون حكرا لهم، فضلا عن ارتقائهم للمناصب السياسية والادارية المهمة في الدولة العباسية بسبب براعتهم في الامور الادارية والمالية وكذلك اتقانهم لبعض اللغات الاجنبية، فنالوا مكانة كبيرة عند السلطات العباسية، وكانت لهم الكلمة النافذة والمكانة البارزة في الدولة العباسية.

مشكلة البحث

من المهم جداً دراسة تعامل الدولة العربية الإسلامية وخاصة في العصر العباسي، من الناحية الاقتصادية مع النصارى، لارتباط هذه الناحية المباشر والخطير بالتأثير بحياة الناس ومنهم النصارى الذي اعتنى هذا البحث بدراستهم.

وأول ما يمكن تحديده وبدقة متناهية، أن الدين الإسلامي هو دين رحمة ومودة وإخاء، أهتم بالنصارى وغيرهم من اهل الذمة اهتماما كبيراً، متمثلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالإسلام أحتضنهم وعاملهم معاملة المسلمين، محافظاً على حياتهم وممتلكاتهم، صائناً لكرامتهم، وحافظاً لحقوقهم، فقد عاشوا جميعاً في ظل المجتمع الواحد أبناءً صالحين يؤازرون بعضهم البعض الآخر في السراء والضراء، فأعطوا بذلك المثل الحقيقي والقدوة الحسنة لكل الأمم والشعوب في التعايش الودي القائم على الحق والعدل والمساواة والإخاء.

أهداف البحث

محاولة لتتبع تعامل السلطات العباسية الاقتصادي مع النصارى، هو الذي دعانا إلى اختياره موضوعاً للبحث، فهو موضوع على قدر عال من الأهمية والمسؤولية، لذا حاولنا البحث في أبعاد هذا الموضوع، أي التعامل الاقتصادي مع النصارى، قاصدين الوصول إلى

الحقيقة والذي تمثل بمعاملتهم الإنسانية الراقية بمختلف صورها وكان من جرائها أن عاشت هذه الشريحة بأمان وسلام، ضمن جسم المجتمع العربي الإسلامي الموحد في شتى عصوره الذي أتصف بالتسامح والتعالي عن أي نوع من أنواع التعصب وحب التعايش مع معتنقي الديانات السماوية التي أعترف الإسلام بها وانفتح عليها بما يعزز وحدة هذا المجتمع.

المبحث الاول

أساليب تعامل السلطة مع النصارى

تنوعت اساليب تعامل العباسيين الاقتصادي مع النصارى من فترة الى اخرى، فقد عانوا في فترات معينة من التضييق والاضطهاد، بينما حصلوا على حرية ومكانة بارزة في فترات اخرى، وحصلوا على أثرها على أموال طائلة[1] ، ومن هذه الاساليب:

اولا. الاسلوب الترغيبي

كان الحكام العباسيون يغدقون الاموال على الكتاب النصارى، نظرا للجهد الكبير الذي يبذلونه والى المكانة الرفيعة التي نالوها، فقد كانت لهم ارزاق جارية منذ عهد ابو جعفر المنصور (١٣٧-١٥٨هـ) بلغت ثلثمائة درهم واستمرت على ذلك حتى عهد المأمون حيث اخذت بالازدياد[١]، حتى وصلت في عهد المقتدر بالله (٣١٧-٣٢٠هـ) الى خمسة الاف دينار[٢]، وهو مبلغ كما يبدو مبالغ فيه مقارنة برواتب وامتيازات الوزراء والامراء، كما أطلق على الكتاب القاب يتلقبون فيها كالشيخ او الشيخ الموفق وما شابه ذلك[٣].

وكان النصارى ينتقلون في ارجاء الدولة الاسلامية بكل أمان وحرية مع توفير وسائل الحماية لهم، وفق العهود والمواثيق التي اقرتها لهم الدولة[٤].

وتمتع النصارى بحرية واسعة في التجارة بلغت تلك الحرية السماح لهم بالتجارة بالسلع الممنوعة والمحرمة عند المسلمين، مثل تجارة الخمور والخنازير، سواءً المحرمة في دينهم او المباحة[٥].

كما اشترك التجار النصارى مع التجار المسلمين شريطة ان يكون التاجر المسلم حاضرا في عمليات البيع والشراء، خوفا من ان يكون التعامل مخالفا للشريعة الاسلامية كالتعامل بالربا، او بيع المواد المحرمة كالخمور والخنازير[٦].

وتعاملت الدولة العباسية في كثير من الاحيان باللين والتسامح مع النصارى وأهل الذمة عموماً في استيفاء مبالغ الجزية التي تفرض على الرؤوس، وعلى شكل اقساط متعددة أو بصورة دورية[٧]، فكان لايؤخذ منهم الا بالحق وان لا يضربوا أو يقاموا بالشمس، وانما يعاملونهم بالحسنى والرفق حتى يؤدوا ما عليهم[٨].

كما انشأ ديوان للجزية يشرف على استيفاء المبالغ وفق نظام الطبقات الذي قسم النصارى الى طبقتين: الطبقة العليا التي تظم التجار والصيارفة واصحاب الضياع والاطباء، أما الطبقة الدنيا فتظم الصباغين والاسكافيين والخياطين، وكانوا يدفعون مبالغ ضئيلة[٩].

ومع أن معظم النصارى كانوا من الأثرياء إلا أن تسامح الدولة معهم جعلهم يدفعون اقل نسبة في ضريبة الجزية للدولة، وكان الرئيس الديني لكل ملة يجمع الجزية من ابناء ملته ثم يسلمها الى الدولة[١٠]، فكان جاثليق النصارى في بغداد يقوم بجمع الجزية من النصارى، وكان بعض الاحيان يدفع الجزية عن الضعفاء من جماعته[١١]، الا في ايام البويهيين صار المسؤول عن جبايتها أحد المسلمين بدل رئيس الطائفة الدينية[١٢].

ثانيا: الاسلوب الترهيبي:

في الوقت الذي نال فيه بعض النصارى امتيازات مادية كبيرة من رواتب عالية ومكافآت وهدايا وصلات، فإن عدد منهم تعرضوا في بعض الأحيان لأساليب ترهيبية لغرض الحصول على الاموال او لأسباب اخرى كان تكون وشاية او اساليب تأديبية [١٣].

ومن بين هذه الاساليب اسلوب المصادرات:

أ. المصادرات

لم يتوان الحكام العباسيين في استخدام شتى الاساليب في محاولة الحصول على الاموال من أغنياء النصارى، وقد اصبحت عملية مصادرة أموال الكتاب وغيرهم سمة بارزة في حياة الحكام العباسيين لغرض الحصول على الاموال كمورد لخزينة الدولة والتي تتعرض للعجز في الكثير من الاحيان[١٤]، فقد تعرض الكتاب ومنهم النصارى للعديد من حالات مصادرة الاموال وعزلهم وتعين كاتب جديد، وقد يكون الكاتب الجديد هو الذي سعى بالوشاية بالكاتب القديم لكي يحصل على منصب الكاتب، او قد تكون ادارية او سياسية او دينية[١٥]، فقد صادر المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) اكثر من سبعين الف دينار من أموال الكاتب سليمان بن

ابراهيم بن الجنيد النصراني وحبسه سنة (٢٣٣هـ/٨٤٧م) [١٦] كما صادر بجكم[١٧] امير الامراء التركي خمسين الف من أموال سعيد بن عمرو بن سنجلا النصراني كاتب الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ)[١٨]، وكانت هذه المصادرات كما يبدو بسبب تقصير هؤلاء الكتاب في اعمالهم لدى العباسيين.

وقام الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ) بمصادرة اموال الكتاب بحجة تعطيل اوامره، فصادر من الكاتب احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار دفعها الى اسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس، وصادر من سليمان بن وهب اربع مائة الف دينار[١٩].

وبالرغم من كون ممارسات النصارى تتعارض مع مصلحة الدولة العباسية الا ان هذه القرارات ما تلبث ان ترفع بسبب حاجة الدولة العباسية لخدمات النصارى وخاصة في المجال الاقتصادي، ففي سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) أصدر المقتدر بالله (٣١٧-٣٢٠هـ) قراراً بعزل النصارى عن الوظائف باستثناء العاملين في مجال الطب والصيرفة[٢٠].

وتم مصادرة أموال وممتلكات الكاتب دليل بن يعقوب النصراني من قبل المستعين بالله[٢١] مصادرة اموال وضياع الكاتب ابو نوح عيسى بن ابراهيم كاتب قبيحة ام المعتز سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) من قبل المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ)[٢٢]

وكان الاطباء من الفئات التي تعرضت للمصادرة والذين كانوا مقربين من السلطة واصبحوا من الاثرياء بسبب عملهم مع رجالات السلطة، لكنهم تعرضوا للعقوبات والمصادرة[٢٣] وقد يكون سبب هذه المصادرات نتيجة لإهمال الطبيب في عمله او ارتكابه خطا معينا، او طمعا في ثروته اذا بلغت قدرا كبيرا، او نتيجة لسعاية بعض الحاسدين بأحد الاطباء، او لأسباب تتعلق بحاجة السلطة للأموال.

وكان مصادرة اموال واملاك الطبيب عيسى بن شهلا طبيب ابو جعفر المنصور(١٣٧-١٥٨هـ) فضلا عن نفيه، اول مصادرة لطبيب في العصر العباسي بسبب استغلاله لمنصبه ومكانته في اخذ الرشاوي من الناس[٢٤]

وتعرض الطبيب بختشوع بن جبرائيل الى مصادرة امواله بعد ان حسده وزير الواثق محمد بن عبد الملك الزيات والقاضي ابن ابي داود، بسبب عظم منزلته وكثرة امواله، حتى بلغ مالم يبلغه احد من سائر الاطباء في عصره، اللذان حرضا الواثق عليه فقام بمصادرة

املاكه وضياعه ونفاه الى جند نيسابور[٢٥]، ثم تحسنت احواله في زمن المتوكل(٢٣٢-٢٤٧هـ) بعد ان قربه وجعله طبيبه الخاص، الا انه لم يسلم من طمع المتوكل نفسه، ففي سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) غضب عليه وصادر جميع امواله ونفاه الى البحرين[٢٦]، ويبدو ان طمع المتوكل بالأموال الضخمة التي نالها بختشوع هو الذي دفعه الى الحقد عليه ومصادرة املاكه، يذكر القفطي ان المتوكل استكثر على بختشوع كثرة امواله وكمال مروءته، فحقد عليه ونكبه بعد ايام يسيرة فاخذ امواله واملاكه[٢٧].

وقام المقتدر (٣١٧-٣٢٠هـ) بمصادرة اموال طبيبه عبد الله بن بختشوع بعد وفاته، اذ ارسل الى بيته الحراس وحملوه ما وجدوه من الاثاث وآنية الذهب، وهربت زوجته، والقبض على والدها واخذ منه مالا كثيرا، ومات عقب مصادرة امواله[٢٨]، وعلى هذا فقد يكون طمع المقتدر في أموال عبيد الله بن بختشوع التي خلفها وراءه السبب المباشر لمصادرة املاكه بهذه الطريقة.

وكان لموقف جبرائيل والد بختشوع المعارض للمقتدر والاشتراك في خلعه السبب بقيامه سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) بمصادرة امواله وبيع املاكه وضياعه بثمن بخس[٢٩].

وبسبب علاقة عيسى بن يوسف المعروف بابن العطارة طبيب الحاكم العباسي القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ) ومستودع اسراره فقد صودرت امواله وودائعه بعد خلع القاهر بالله سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) من قبل الراضي، بتهمة التدخل في شؤون السياسة والحكم، وتنصيب وعزل الوزراء والعمال[٣٠].

وبسبب الخطأ في عمله صودر الطبيب بختشوع بن يحيى أثناء معالجته لهارون بن المقتدر أخو الراضي، ففي سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) قام الراضي بالقبض على الطبيب بختشوع ومصادرة املاكه، ثم امر بنفيه الى الانبار لاتهامه بالتقصير في علاج اخيه[٣١].

ومن المصادرات التي تعرض لها الاطباء النصارى ما قام به الحاكم العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) بعد ان طلبت منه زوجته الخيزران بمصادرة اموال الطبيب بختشوع بن جرجيس وابعاده الى جنديسابور بسبب منافسته لطبيبها ابي قريش النصراني[٣٢].

يلاحظ مما تقدم ان مصادرات الاطباء لم تكن بالكثرة التي كانت عليها بقية مصادرات الفئات الاخرى داخل الدولة العباسية، وانها كانت متقطعة ونتيجة لبعض الظروف التي كانت توجب المصادرة.

وكذلك صودرت اموال جبرائيل بن بختشوع مؤدب الامين وتعرض الى السجن من قبل المأمون، بعد ان رفض العمل معه(٣٣)، لكنه ما لبث أن قرّبه وأصبح طبيبه الخاص وبالغ في إكرامه ورد له أملاكهٌ المصادرة(٣٤).

وتعرض التجار للمصادرة أيضاً تحت مسمى الاقتراض(٣٥) اذ ان معظم تلك القروض لا يتم اعادتها اليهم كالقروض التي أخذها ابراهيم بن المهدي من تجار بغداد دون ان يعيدها إليهم وقروض الموفق من التجار لتوفير الأموال خلال حروبه(٣٦)، وأصبح شائعاً ان يتم مطالبة التجار بقروض اجبارية شبيهة بالمصادرة(٣٧)، فمن التجار النصارى الذين تعرضوا للمصادرة أبو العلاء سليمان بن وهب بن سفيان، فقد صودرت جميع أمواله التي خبأها عند أحد الصيارفة والتي كانت بمقدار بمائة واربعون الفاً من الفضة ووجدوا لديه اثنا عشر الف دن خمر (٣٨) ، ولا يُبعد ان يكون أحد اسباب مصادرته هذه متاجرته بالخمور والتي لا يسلم أصحابها في ظل الشريعة الإسلامية من العقوبة أو النفي أو المصادرة.

وتعرض رجال الدين النصارى للمصادرة، فقد صادر الأمير توزون سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) رئيس النصارى(الجاثليق) بدار الروم بتهمة المتاجرة بالنبيذ فصودر على (٥٠) الف درهم(٣٩) وغيره آخرون(٤٠).

ب. العقوبات

استخدم العباسيون شتى اساليب الترهيب بالعقوبات لاستحصال الاموال من العاملين في الدولة ومنهم النصارى، وقد يصل الامر الى الضرب المبرح حتى يقروا بما لديهم من أموال، فقد تعرض الصيارفة النصارى الى المحاسبة والتحذير بعد تعاملهم الربوي الفاحش على الاموال أثر الاقتراض والتصريف، كما جرى على يد ناصر الدولة الحمداني سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) بعد ان بلغه انهم يقومون بعمليات الربا في العلن مما اضطرهم الى الامتناع وان كان لفترة قليلة(٤١).

ولا يخلو هذا العصر من استخدام اساليب الترهيب والعقوبات على النصارى، مثل زيادة الجزية او التبكير في استحصالها، كما قام البريدي[٤٢] اثناء توليه الوزارة في بغداد سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) بأخذ الجزية قبل وقتها وساوى في دفعها بين الاغنياء والضعفاء[٤٣]، كما قامت السلطات العباسية سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) بافتتاح بريد الجوالي[٤٤] قبل موعده والذي تسبب بالحاق الضرر الكبير بالنصارى وغيرهم من اهل الذمة[٤٥].

وتعرض الكاتب احمد بن اسرائيل في عهد الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ) الذي أمر بضربه كل يوم عشرة اسواط فضربه فيما قيل نحو الف سوط[٤٦].

ولا بد من الإشارة إلى أن غضب الدولة في بعض الأحيان على بعض موظفيها من أهل الذمة ومنعهم من العمل لم يشمل الأطباء فقط، بل الوظائف الأخرى، كما ان هذه القرارات ما تلبث أن تتأكل وتزول مهما كانت أسبابها، ففي سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) أصدر المقتدر بالله (٣١٧-٣٢٠هـ) قراراً بعزل النصارى واهل الذمة عموما عن الوظائف عدا العاملين في حقلي الطب والصيرفة[٤٧]، وهذا يؤشر الى حقيقة مهمة وهي عدم قدرة الدولة على الاستغناء عنهم، ففي الوقت الذي منعوا من مزاولة اي وضائف في الدولة أبقاهم على عملهم كأطباء له ولحاشيته يؤمنهم على حياته، ويطلق يدهم في اقتصاد البلاد والأمور المالية بممارستهم الصيرفة ومن هنا نستنتج أن قرارات العزل ما كانت إلا إجراءات وقتية اقتضتها طبيعة الظروف بسبب بعض الممارسات التي قاموا بها وعدتها الدولة ضد المصلحة العامة.

المبحث الثاني

ضوابط ومعايير عمل النصارى

عمل النصارى بمختلف انواع الحرف والصناعات شانهم في ذلك شان بقية فئات المجتمع والتي وفرت لهم سبل العيش، فعمل النصارى في الصياغة والجزارة والخياطة وكذلك اشتهروا بصناعة المنسوجات والخمور وغيرها.

أ. الضابطة والمعيار الشرعي.

أسهمت الحرية الدينية التي منحها الاسلام للنصارى، وكذلك توفير الامان للقوافل التجارية، ومراقبة الاسواق لتنظيم النشاط التجاري، بالتميز وممارسة كافة أعمال البيع

والشراء، مع فرض ضريبة بسيطة وهي نصف العشر[٤٨]، وكادت بعض الأعمال التجارية أن تكون مقتصرة عليهم، وحقق العديد منهم ثراءً كبيراً ففي العصر العباسي كان الكثير من التجار في العراق من النصارى[٤٩]، وشهدت أسواق بغداد نشاطهم التجاري الواسع والمتنوع[٥٠].

زاول النصارى الاعمال الحسابية الى جانب العمل التجاري، فقد مارسوا اعمال الصيرفة[٥١] وقد اخذ نصارى المدائن مزاولة المهنة من نصارى الحيرة[٥٢]، ويعود سبب مزاولة أهل الذمة سواء كانوا يهوداً أو نصارى للصيرفة لعزوف المسلمين عنها لأنها من المهن التي تفتح أبواب التعامل بالربا الذي نهى عنه الدين الإسلامي وحذرت من عقابه العاجل والآجل، وقد ورد النهي عنه كما في قوله تعالى: ... **وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**...[٥٣] وقوله تعالى: ...**يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** [٥٤].

فقد برع نصارى العراق بأعمال الصيرفة خلال العصور العباسية والتي شهدت انتعاشا كبيرا من خلال تداول مختلف انواع النقود والتي ضربت في اقاليم الدولة العباسية في المعاملات التجارية سواءً التي ضربت في دور الضرب الحكومية او الدراهم المزيفة والدنانير المبهرجة التي ضربت خارج دور الضرب الحكومية ويكثر فيها بسبة المعادن الرخيصة[٥٥].

ومن الذين عملوا بالصيرفة من النصارى عبيد الله بن بختشوع والد الطبيب جبرائيل والذي كان من الصيارفة البارعين[٥٦]، وكان المسؤول عن مراقبة والاشراف على هؤلاء الصيارفة هو المحتسب الذي كان يراقبهم ويتفقد أعمالهم فيعاقب المخالفين سواءً بالتحذير او الطرد من الاسواق[٥٧].

وقام الصيارفة بأنشاء بيوتات وشركات مالية لقبول الودائع والتعامل مع التجار وكبار رجال الدولة من الوزراء والحكام[٥٨] الذين كانوا بحاجة إلى مكان أمين يحفظون فيه ودائعهم من الضياع أو من السرقة، فقد أودع أبو العلاء سليمان بن وهب النصراني ببغداد مبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف درهم عند أحد الصيارف[٥٩]، وتقديم القروض للدولة والتجار من خلال تسهيل التعاملات المالية من قبل الصيارفة[٦٠].

وكانت الدولة العباسية تشرف على اعمال الصيرفة عن طريق المحتسب الذي يقوم بمراقبة الاسواق لمنع التعاملات المحرمة كالربا والغش واستخدام الدراهم المزيفة[٦١]، فيقوم

بتعزير [٦٢] المخالف وطرده من الاسواق[٦٣]، ففي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) حدثت خلافات واسعة بين ناصر الدولة الحمداني والصيارفة بسبب التلاعب باوزان الدنانير، مما دعى الحمداني الى فرض عيار جديد وزاد من وزن الدينار، وامرهم بضرب الدينار الجديد[٦٤].

وقد سمح للنصارى بالمتاجرة بالسلع المحضورة والمحرمة شرعا على المسلمين[٦٥]، فكانت تجارة الخمور وبيعها رائجة على الرغم من الشروط التي وضعها المسلمون في عدم المتاجرة بها وحملها من بلد الى آخر[٦٦]، فقد أصبحت بعض الأديرة مقصداً للتجار ومحطاً للقوافل تنقل منها زقاق الشراب الى الأنحاء والأقطار كما هو الحال مع دير طيرناباذ الذي يقع بين الكوفة والقادسية والذي اشتهر بتجارة الخمور[٦٧] وغيره من الأديرة[٦٨].

وقد انتشرت تجارة وبيع الخمور في اسواق بغداد، فكان العراق يصدر الخمور الى مختلف انحاء البلاد بالرغم من تحريمها من قبل الشرع الاسلامي، وكان الباعة يستخدمون الحيلة لغرض بيعها دون علم السلطات حيث كانت تباع مع الادوية، وكان الناس يؤومون الاسواق التي يباع فيها الخمر بحجة شراء الادوية[٦٩].

واشتهر نصارى العراق بصناعة الخمور وبيعها ، فقد روي إن المسلمين حينما فتحوا العراق أقروا لهم شرب الخمر، إلا إنهم شرطوا عليهم عدم صناعتها لأغراض المتاجرة بها وحملها من بلد الى بلد لبيعها[٧٠]، وعند قدوم الإمام علي عليه السلام الى الكوفة أمر بإضرام النيران بالخمور بقرية زرارة التي كانت مركزاً لصناعة الخمور وبيعها [٧١]، إلا إن تجارة الخمور شاعت في العصر الأموي بعد أن أصبح الخمر ملاذاً وأنيساً لحكام بني أمية وتبعهم في ذلك حكام بني العباس أيضاً[٧٢] فأصبح وجود الخمر أمراً ضرورياً في مجالس رجال السلطة بما لا يمكن الاستغناء عنه في أغلب الأحيان، [٧٣] لا سيما وإن بعض فقهاء السلطة كانوا قد أجاوزا شرب الخمور وبيعه في الأسواق [٧٤].

وكان النصارى يصنعون الخمور في بيوتهم فقد وجد عند أبي العلاء سليمان بن وهب احد الأثرياء النصارى في بغداد اثنا عشر ألف دن خمر[٧٥] كما اشتهرت بعض الأديرة في صناعة الخمور وبيعها، ومن الأسباب التي شجعت على صناعة الخمور هو كثرة الكروم في تلك الأديرة، ولاسيما في بساتينها المثمرة (كدير الزندورد) في بغداد الذي كان يزرع فيه

مختلف أنواع الفواكه والأعناب التي وصفت بأنها أجود الأنواع ومنها كان يُصنع الخمر[٧٦]، وكذلك (دير الزرنوق) الذي اشتهر بكثرة البساتين وحانات الخمور[٧٧].

وقد وصف الجاحظ صانعي الخمور بقوله : " ... إن من تمام آلة الخمار أن يكون ذمياً ويكون أرقط الثياب نظيفاً"[٧٨]، ولذلك لما أراد الواثق أن يعقد مجلسين له ولبطانته، احدهما في دار الحرم والأخرى على شط دجلة فإنه أمر أن يختار له خمار نصرانياً من أهل قطربل [٧٩] يمتاز بجمال المنظر نظيف وحاذق بأمر الشراب، فأتي بنصراني له ابنان مليحان وابنتان مثلهما، فجعلهم الواثق في الجانبين وضم إليهم خدماً وغلماناً وجواري رومية، وجعل النساء في حانة الحرم، والرجال حانة الشط [٨٠].

وقد خضعت جميع تلك الحرف والصناعات لإشراف الدولة متمثلة بالمحتسب الذي اتخذ له من أهل كل حرفة أو صنعة عريفاً ليتولى مهمة مراقبة أبناء حرفته أو صنعته وكشف حالات الغش والتدليس لردعهم[٨١].

ب. الضابطة والمعيار الاجتماعي .

زاول النصارى اعمال الشراء والبيع في الاسواق المحلية المنتشرة في بغداد في الاعمال التي يأنف المسلمين العمل فيها، فمارسوا اعمال العطارة وتجارة المنسوجات وبيع المجوهرات والمصوغات بأنواعها، كما زاول بعضهم بيع المواد الغذائية[٨٢].

وكانت الكرخ مقراً للتجار كونها تمثل مركزا تجاريا يفد اليها التجار المحملون بالبضائع من مختلف البلدان ومنها تنقل الى مختلف انحاء الدولة[٨٣]، وكان للتجار النصارى دور كبير في اسواق الكرخ ومنهم التاجر (مرتو بن قنقي)[٨٤]، وعمل النصارى ايضا في مهنة بيع الاغنام والبغال ورعيها والمتاجرة فيها[٨٥].

ومارس النصارى مختلف النشاطات التجارية في اسواق بغداد كعلميات البيع والشراء والصيرفة، وكذلك في النشاطات التجارية الخارجية مع مختلف البلدان كالروم وارمينيا وقبرص والهند والسند والصين، وغيرها من البلاد[٨٦]، وكان لمعرفة النصارى للغات الاجنبية كالاتينية والسريانية الدور الكبير في تسهيل تعاملهم مع التجار الاجانب، الامر الذي ادى الى اعتماد التجارة الخارجية على النصارى بصورة كبيرة، امثال العالم البغدادي ابن زرعة النصراني الذي كان يتاجر مع بلاد الروم[٨٧].

وعمل النصارى بالجزارة وبيع اللحوم، فقد اجاز بعض رجال الدين المسلمين للنصارى مزاولة هذه المهنة شرط الالتزام بالشروط الواجب توفرها في ممارسة هذه المهنة مثل (التسمية عند الذبح، واستقبال القبلة، وشحذ السكين)، وغيرها من الشروط، وقد نهى الامام الصادق (عليه السلام) عن الشراء من النصارى في رواية نقلها الطوسي بان جماعة من النصارى في الكوفة يزاولون مهنة بيع اللحوم منذ زمن بعد ان شرط عليهم اهل الكوفة ان يذكروا اسم الله وحده على الذبيحة، لكن اهل الكوفة تركوا الشراء من النصارى اللذين استفسروا عن سبب تركهم شراء اللحوم منهم فقال لهم اهل الكوفة "" إن لنا عالماً نهانا، زعم إنكم تقولون في ذبائحكم شيئاً لا يُجب لنا أكلها، فقالوا من ذا العالم ، فقالوا لهم ، جعفر بن محمد الصادق – عليه السلام – فقالوا ، صدق والله إنا نقول باسم المسيح " [٨٨]، أن هذه الحادثة وغيرها تؤكد عمل النصارى في مهنة الجزارة في العصر العباسي.

ففي بغداد التي سكن فيها عدد ليس بالقليل من النصارى في محلات مستقلة على الاغلب، فان ذلك استوجب وجود قصابين يعملون لأبناء طائفتهم داخل محلاتهم الخاصة، وكان في الكوفة اسواق متخصصة وكان من ضمنها يوجد سوق للقصابين[٨٩].

وأشتغل النصارى في عمل الصياغة وبيع المجوهرات لبراعتهم فيها، فقد عرف عن عون الجوهري النصراني عمله في بيع الجواهر الفاخرة لبلاط الرشيد وبأسعار باهظة[٩٠]، اذ حقق الجوهري اموال عظيمة من شراء المجوهرات لرجال الدولة ولأهليهم[٩١].

كما عمل الجاثليق عمانوئيل قبل ان يصبح راهبا بالصياغة، وكان يوصف بالبخل وحب المال[٩٢]، والجدير بالذكر ان عمل المجوهرات واقتنائها كان رائجا في العصر العباسي، كون الحكام العباسيون والوزراء والامراء وكبار رجال الدولة ونساءهم كانوا يحرصون على اقتناء الجواهر والحلي النفيسة عن طريق الشراء وتبادل الهدايا او التي تمنح على سبيل العطايا او المكافآت[٩٣].

مارس النصارى العديد من الحرف اليدوية كحرفة صناعة الخبز، فقد ذكر ان بعض الخبازين تعرضوا لاعتداء من قبل بعض المسلمين سنة (٤٠٣ هـ / ١٠١٢م)[٩٤]، ونقل حمدان الكبيسي ان حوانيت الخبازين تقع في سوق الطعام في جانب الرصافة[٩٥]، ومارس النصارى حرفة الخياطة والصباغة فضلا عن الجزارة[٩٦]، واشتهر النصارى في بغداد

بصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية[٩٧]، كما اشتهروا بصناعة المفروشات كالبسط والطنافس[٩٨].

اما في مجال الزراعة فقد اشتهر النصارى بزراعة مختلف المحاصيل الزراعية بالقرب من الاديرة والتي بنيت بلاصل بالقرب من البساتين والاراضي الصالحة للزراعة لتكون موردا لتلك الاديرة كما في دير باعر بايا والذي يملك اراضي زراعية شاسعة[٩٩]، وكان دير قني يضم اكثر من مائة بستان من مختلف الثمار وتباع غلة البستان الواحد من من خمسين الى مائتي دينا[١٠٠]، وكذا الامر في الاديرة الاخرى كدير مريحنا الذي يملك البساتين والمزارع[١٠١].

ومارس النصارى العديد من المهن الاخرى كالهندسة والنحت والنقش والبناء، فقد تميزت الاديرة بروعة الفن المعماري ومتانة البناء وتزينها بالنقوش الجميلة[١٠٢]، فقد كان البطريق النصراني طافان بن العزار (ت ١٦٣هـ / ٧٧٩ م) من ابرز البنائين فقد بنى اكثر من مائة طاحونة تجني اكثر من الف درهم في كل سنة[١٠٣].

وزاول النصارى في الدولة العباسية مهنة الجهبذة[١٠٤]، وهي من الأعمال المهمة في المجال المالي، وقد زاولها عدد من النصارى في العراق منذ القدم حيث برع نصارى الحيرة في هذا العمل[١٠٥]، وأصبح الجهبذ يُشكل واحداً من أهم أقسام بيت المال أو احد فروع الجهاز الإداري لبيت المال في الدولة العباسية، ومهمته استخراج الأموال وقبضها وكتابة الوصلات بها ويطالب بما يقبضه، ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له وقد ولى أبو أيوب المورياني[١٠٦]، عدداً من النصارى في إدارة جهبذة النواحي إلا إن بعضهم كان يختلس الأموال لنفسه[١٠٧].

واعتمد المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) بالله على جهبذا نصرانيا في ادارة الاموال واستحصالها من المصادرين[١٠٨]، واعتمد الوزير ابن الفرات في وزارته الثالثة سنة (٣١٢ هـ / ٩٢٤م)على الجهابذة النصارى في استخراج أموال المصادرين وحفظ الأموال لديهم، وحينما عزل ابن الفرات أعترف بوجود مائة وستين ألف دينار من أموال المصادرين لدى الجهبذ هارون بن عمران وابنه[١٠٩].

وكان الجهابذة يعملون في أماكن خاصة راقية في الأسواق أو الدور، إذ يصف القاضي التنوخي محل عملهم بقوله: "ودخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن وفيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين يقبضون ويُقبضون "[١١٠].

ونظرا لتطور عمل الجهبذة تم استحداث ديوان خاص لها من قبل الوزير علي بن مقلة[١١١] سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) وتعين النصراني ابراهيم بن ايوب على هذا الديوان[١١٢]، وكانت مهمة رئيس الديوان الاشراف على واردات بيت المال وتنسيق النفقات اليومية بالاتفاق مع صاحب بيت المال، ورفع تقارير مفصلة بالدخل والخرج، أي الواردات والنفقات، وتكون هذه التقارير شهرية وسنوية[١١٣].

ونظراً لذكاء وحذاقة الجهابذة فقد تعامل معهم كبار رجال الدولة بايداع اموالهم لديهم، فقد بلغت اموال الوزير حامد بن العباس[١١٤] المودعة لدى الجهبذ ابراهيم بن يوحنا النصراني سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) نحو مائة الف دينار[١١٥].

ومن الوظائف التي عمل فيها النصارى وظيفة الكتاب، اذ حضي الكتاب النصارى بمكانة عالية كونهم يمتلكون ثقافة عالية التي نالوها من العمل في مدارس الاديرة كمدرسة مارماري في دير قني وغيرها، فضلا عن اجادتهم للغات عدة كاليونانية والسريانية بالإضافة الى ضلوعهم باللغة العربية[١١٦].

وقد استعان الحكام العباسيون بالكتاب النصارى الذين نالوا حظوة كبيرة، بسبب الثقة التي نالوها واشتهارهم بالوفاء والاخلاص في عملهم[١١٧]، ولم تقتصر خدمة الكتاب للحكام وولاة العهود بل استعانت بهم أُمهات الحكام، فكان لدى شجاع أم المتوكل كاتباً نصرانياً يدعى سلمه بن سعيد، نال ثقة المتوكل أيضاً، فمنحهُ بعض الامتيازات داخل البلاط[١١٨].

وكان لهؤلاء الكتاب ارزاق جارية بلغت في عهد ابي جعفر المنصور(١٣٧-١٥٨هـ) ثلثمائة درهم، واستمرت على ذلك حتى عهد الخليفة المأمون حيث أخذت بالازدياد[١١٩]، ووصلت في عهد المقتدر الى خمسة الاف دينار[١٢٠]، وربما يعود سبب ارتفاع أجور الكتاب على مر الزمن إلى الجهد الكبير الذي يبذلوه والى المكانة الرفيعة التي نالوها.

وتقلد النصارى وظائف مالية وحسابية مهمة في الدولة العباسية، كالإشراف على بيت المال او على خُزان بيت المال وعلى الاموال الخاصة لكبار رجال الدولة، ففي عهد ابي جعفر المنصور(١٣٧-١٥٨هـ) تولى ابن الطباخ الكشكري النصراني ديوان بيت المال[١٢١]، و تقلد النصراني ابراهيم بن بنان وظيفة خازن بيوت الاموال في عهد المعتصم[١٢٢] وتقلد دليل بن يعقوب النصراني أمر نفقة بناء القصر الجعفري[١٢٣] وفي سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) تولى بيت المال الخاص[١٢٤] النصرانيان ابن القنائي وأخوه من قبل الوزير عبد الله بن محمد الخاقاني وبقيا في منصبهما حتى بعد عزل الخاقاني وتنصيب احمد الخصيبي في السنة نفسها[١٢٥]، وشغل أيوب بن سليمان النصراني خزانة بيت المال في عهد المتوكل[١٢٦]، وكان أبو الحسن بن إبراهيم النصراني خازناً لمعز الدولة البويهي[١٢٧].

وعُين الكاتب المسيحي ابا الحسن سعيد بن عمر بن سنجلا سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) مشرفا على مهمة المصاريف لولدي الراضي، في الوقت الذي كان اسطيفان النصراني وكيلاً لخزانة الراضي الخاصة[١٢٨]، وشغل اسحق الوكيل النصراني وظيفة متصرف في خزانة الشراب والكسوة في دار الخلافة في عهد المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)[١٢٩].

ومن المهن المهمة التي عمل فيها النصارى مهنة الطب والتي درت عليهم نفعا كبيرا بسبب تطبيبهم للحكام ورجال الدول فضلا عن بقية الناس، فكان الجميع يعطونهم اكثر من الاجر والهدايا الثمينة بالاصافة الى تقاضيهم الرواتب الشهري[١٣٠].

فقد نالت اسرة ال بختشوع منزلة ونفوذ كبيرين لدى الحكام العباسيين، فضلا عن الاموال الطائلة التي تاتي على شكل هدايا من الحكام واسرهم ورجال الدولة والوجهاء والتجار، بالاضافة الى الرواتب التي يقبضها الطبيب من بيت المال العام والخاص، فقد اشترى الطبيب جبرائيل بن بختشوع الذي كان يعمل لدى الرشيد ضيعة بمبلغ كبير التمسة من بعض علية القوم فمنحوه ضعف ما يحتاجه، كما امر له الرشيد بمبلغ اخر من المال[١٣١]، وقد ثبت جبرائيل ما وصله من الاموال من البرامكة بسبعين الف الف درهم[١٣٢]، ومن الصاحب بن عباد مبلغ الف دينار[١٣٣].

وبلغت منزلة الأطباء النصارى عند الحكام العباسيين إنهم كانوا يختارون هداياهم بأنفسهم, فيطلبون إقطاعهم ضياعاً واملاكا معينة، فقد أقطع الرشيد بختيشوع بن جبرائيل أقطاعاً قيمته ألف ألف درهم الا ان بختشوع طلب من الرشيد أن يلغي هذا الإقطاع ويهب له ما يشتري به ضياعاً غلتها ألف ألف درهم فأعطاه ما طلب(١٣٤)، فقد اصبح الأطباء النصارى من ملاك الأراضي وأصحاب الثروات في بغداد.

ونال الطبيب النصراني ماسويه بن يوحنا، من هارون الرشيد مبلغ ألفي درهم في الشهر، وخصهُ بمعونة سنوية بلغت عشرين ألف درهم(١٣٥)، وقد خصص له الوزير الفضل بن الربيع (١٣٨- ٢٠٨هـ/ ٧٥٥- ٨٢٣م) (١٣٦)، راتباً شهرياً قدرهُ ستمائة درهم(١٣٧).

وكان الطبيب جبرائيل يتقاضى الف درهم شهريا وهو نفس المبلغ الذي يتقاضه المأمون (١٣٨)، أما المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) فقد أغدق على طبيبه بختيشوع بن جبرائيل الأموال والضياع وأمر له بثلثمائة ألف درهم والعديد من أصناف الثياب، بعد ان قام بعلاجه من علة ألمت به(١٣٩)، و بلغت نفقة بيته من شموع وزيت وعطور خمسمائة ألف دينار سنوياً(١٤٠)، فضلا عن الاف القطع من الملابس الثمينة والحلي (١٤١).

ولم يختلف الامراء في اغداق الاموال والهبات على اطبائهم، فقد أغدق الموفق ابن المتوكل على طبية النصراني غالب الأموال والاقطاعات والخلع، وبلغ من إكرامه له أن كان يقول لرجاله:" من أراد إكرامي فليكرمه، وليصل غالباً"(١٤٢)، وقرب الأمراء البويهيون أطبائهم، فقد كرم معز الدولة البويهي الطبيب جبرائيل بن عبد الله بن بختشوع بالأموال والهدايا حينما أشفى بعض أهله(١٤٣)، وقام المقتدر بالله (٣١٧-٣٢٠هـ) بإقطاع طبيبه بختشوع بن يوحنا العديد من الاقطاعات والضياع والامتيازات، وظلت هذه الامتيازات في عهد الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ)(١٤٤).

وتقاضى الاطباء النصارى مرتبات عالية مقابل عملهم في البيمارستانات، فكان المعتضد بالله يعطي الاطباء ستمائة وسبعين دينار شهريا، فضلا عن ارزاق الاطباء واثمان الطعام والاشربة والتي تبلغ اربعمائة وخمسين دينار شهريا[١٤٥]، فقد بلغ راتب الطبيب جبرائيل بن بختشوع سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) ثلاثمائة درهم فضلا عن رسم خاص له يبلغ ثلاثمائة درهم اخرى[١٤٦].

وكانت هذه الرواتب تصل الاطباء بانتظام، وقد غضب المقتفي لأمر الله حينما لم يصل راتب طبيبه ابي الحسن بن التلميذ في وقته، وامر بإيصال راتبه سريعا مع اعطاءه مقاطعة تكريما لجهوده[١٤٧].

المبحث الثالث

آثار التعامل الاقتصادي مع النصارى ومعطياته

كان اغلب النصارى في بغداد يعيشون بمستوى معاشي متميز، ويمارسون اعمال جلبت لهم المال والجاه، وكادت بعض الأعمال التجارية أن تكون مقتصرة عليهم، فضلا عن ايرادات مالية وعينية كبيرة، فشهدت أسواق بغداد نشاط تجاري واسع ومتنوع من قبل النصارى[١٤٨].

وكذلك تقلدوا وظائف عالية في الدولة، وكانوا من المقربين من السلطات العباسية، فقد مارس عدد منهم مهنة الطب والصيدلة، واختصوا بخدمة الحكام وحريمهم وكبار رجال الدولة العباسية، فجنوا بذلك اموالا طائلة سواء على شكل رواتب او مكافآت وجوائز وعطايا وهبات، كما حصلوا على اقطاعات واسعة من الاراضي الزراعية والجواهر والذخائر او جواري وخدم، وغيرها من الامتيازات[١٤٩].

أ. الآثار الاقتصادية على الدولة.

تعاملت السلطات العباسية اثناء فرضها للضرائب والالتزامات المالية على النصارى بنوع من الرحمة وعدم التضيق والتشدد خلافا للطوائف الاخرى في بغداد كالروم والفرس في اغلب الاحيان، ومن هذه الضرائب ضريبة الجزية التي تفرض على اهل الذمة[١٥٠]، وتفرض الجزية لقاء تعهد المسلمين

بالمحافظة على ارواح أهل الذمة واموالهم وعباداتهم، واعفائهم من مهمة الدفاع عن البلاد[١٥١].

وتجبى الجزية على وفق قدرة الشخص، فقد عُد التجار والصيارفة وتجار النسيج وأصحاب الضياع والأطباء من الأغنياء أو متوسطي الحال، فجزيتهم تكون على وفق الطبقة العليا، أما العمال اليدويون مثل الخياطين والاسكافيين الصباغين فعدوا من الطبقة الدنيا وبذلك يدفعون النسبة الأدنى[١٥٢].

لم يلتزم العباسيين بمقدار محدد في اخذ الجزية من النصارى وانما تباين الامر من زمن لآخر وللحالة المعاشية للنصارى، فضلا عن طبيعة العلاقة بين النصارى والحكام العباسيين، ففي عهد الرشيد شكى النصارى اليه ثقل الجزية وعدم قدرتهم على استيفاء مافرض عليهم، فأمر الرشيد بتخفيض المبلغ[١٥٣] بينما قام المنصور(١٣٧-١٥٨هـ) بإسقاط الجزية عن النصارى ضعيفي الحال، مع بقاءها على الاثرياء من النصارى[١٥٤].

وقد اعفي فئات عديدة من النصارى من ضريبة الجزية كالنساء والأطفال والشيوخ والمرضى والفقراء والمتعبدين[١٥٥] في عهد الطائع لله فقد نص كتابه الى فخر الدولة البويهي[١٥٦] سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) جاء فيه ان يوعز الى جباة الجزية "... ان لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذي سن عالية، ولا ذي علة بادية، ولا فقير معدم، ولا مترهب متبتل"[١٥٧].

وقد تباينت مواقف السلطات العباسية مع النصارى حسب المواقف الشخصية فقد قام ابي الفضل الشيرازي[١٥٨] بسبب خلافه مع احد الكتاب النصارى على فرض جزية مجحفة على النصارى، حتى ان الجاثليق (عبد يشوع الاول) اضطر الى دفع (٢٠٠) الف درهم في احدى السنوات و (١٠٠) الف درهم في سنة أخرى [١٥٩] .

وقد شكى النصارى سوء حالهم للطائع لله حينما تولى الخلافة (٣٦٤هـ / ٩٧٤م) لذلك فانه أصدر أمراً بان يكون أخذ الجزية من النصارى حسب

القدرة على دفعها حيث جاء " ... بحسب منازلهم في الأحوال وذات ايديهم في الأموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المحدودة المعهود لها ..."[١٦٠].

ولم تقتصر معاناة النصارى المالية على ضريبة الجزية بل كانوا مثقلين بضريبة الخراج ومكوس العمال الذين كانوا يفرضون أمولاً اضافية، وكانوا يأملون خيراً في الواثق بان يخفف عنهم اعباء الضرائب المرهقة التي فرضت عليهم في عهد المعتصم، الا ان ذلك لم يحصل بل زاد الامر وطأة فقد زادت الضرائب في الوقت الذي كان الواثق منشغلاً عن مصالح الرعية بالشراب واللهو والمجون[١٦١].

ولم تتحسن أحوال النصارى، إذ استمرت ظاهرة جباية الضرائب المضافة على الخراج، فضلاً عن الجزية، كما حدث ذلك في عهد المطيع لله، حتى قيل ان تلك الاجراءات دفعت العديد من النصارى الى التخلي عن دينهم [١٦٢]، وقد ظهر ما يُشير الى اهتمام الطائع لله في أمر الأراضي الخراجية، فأوصى ان يتم اختيار عمال الخراج ممن يتسمون بالعفة والنزاهة[١٦٣].

وفرضت ضريبة على المنسوجات الحريرية والقطنية، وقد بالغ الوزير ابو نصر سابور بن اردشير[١٦٤] في تلك الضريبة مما أثار استياء عامة الناس، والذي دعاهم لتنظيم احتجاج شارك فيه المسلمين والنصارى سنة (٣٨٩هـ/٩٨٩م) فاغلقوا الجوامع والبيع واحرقوا دار الجانب الغربي لانها مقر للبلايا والمصادرات[١٦٥].

ب. الآثار الاجتماعية والتعايش السلمي.

لقد نال النصارى من أثر تعاملهم الاقتصادي مع السلطات العباسية مبالغ طائلة على شكل رواتب وهدايا وخلع ثمينة[١٦٦] فقد نالت أسرة بختيشوع امتيازات ونفوذ كبيرين فضلا عن العطايا الثمينة وامتلاكه العديد من الضياع لقربها من الحكام ورجال الدولة[١٦٧] فحينما اشترى جبرائيل بن بختشوع ضيعة

بمبلغ كبير التمسه من بعض علية القوم، فمنحوه ضعف المبلغ، ولما سمع الرشيد بذلك أمر له بمبلغ أخر من المال(١٦٨) ووصله من البرامكة سبعين ألف ألف درهم(١٦٩) كما وصله من الصاحب بن عباد بعد أن زارهُ في الري بمبلغ ألف دينار(١٧٠).

وأصبح الاطباء من ملاك الاراضي واصحاب الثروات في بغداد، بعد ان عظمت منزلتهم لدى الحكام حتى انهم كانوا يختارون الهدايا بأنفسهم فيطلبون الضياع الثمينة، فقد اقطع هارون الرشيد الطبيب بختشوع بن جبرائيل ضيعة قيمتها الف الف درهم، لكن بختشوع رفض هذه الضيعة وطلب من الرشيد ان يهب له ضياعا غلتها الف الف درهم فأعطاه ما طلب منه(١٧١).

وارتفع المستوى المعاشي للاطباء بصورة كبيرة، فقد روي ان راتب الطبيب جبرائيل بن بختشيوع كان عشرة الاف درهم شهرياً ، اما مرتبه السنوي فكان زهاء خمسة الاف درهم(١٧٢) وبلغت اقطاعه في كل سنة مائة الف الف درهم(١٧٣) وبلغت فخامة داره التي في البصرة مبلغا عظيما، فقد طلب من أمير البصرة تجهيزه بخمسمائة ساجة لعمارة تلك الدار(١٧٤) ومن المؤكد ان هذه الدار ليست الدار الوحيدة التي يملكها لاسيما وأنها في البصرة، باعتبار ان إقامته في بغداد والذي يقودنا للتوقع لامتلاكه اكثر من دار واحدة في بغداد او ما حولها، هذا فضلاً عن المكافأة والهدايا الجليلة التي نالها من الرشيد والمأمون(١٧٥) .

وفاق الطبيب بختشوع بن جبرائيل جميع الاطباء النصارى بمقدار الثراء، حتى انه نافس الحكام العباسيين في مظاهر الترف واللباس والجواري والعبيد، وكان عندما ياتي الى دار الخلافة راكباً عربة من خشب الأبنوس، وبين يديه الف من الرجال، وكان ينفق في كل ليلة خمسمائة دينار ثمن الشموع والزيت والبخور، وقد اقام مأدبة للمتوكل ورجاله ضمت مختلف الاصناف من الأطعمة والأشربة وبأوزان ومقادير كبيرة، وكان يستخدم ارطال من الثلج لغرض تبريد المشروبات، واستخدم الخيش المرطب بالماء البارد المخلوط بالبطيخ لتبريد جميع انحاء قصره ولتبقى رائحة الهواء زكية، ففي أي مكان كان المتوكل يتجول يجده بارداً

(١٧٦) وقد ترتب على ذلك غيرة المتوكل وحسده الحقد عليه، وعد ذلك أحد اسباب السخط على بختشيوع كما أسلفنا(١٧٧).

وكان للمكاسب المادية الكبيرة التي يحققها الاطباء الدور في زيادة اعداد من مارس هذه المهنة أو ما يسمى متعاطي الطب، اللذين شاركوا كبار موظفي الدولة من النصارى في الانفاق على بناء وترميم الأديرة والبيع التي تعرضت للخراب والنهب والتدمير(١٧٨).

وقد جنى النصارى ارباحا طائلة من اعمالهم الاقتصادية كالعمل في الصيرفة، لاسيما وان عملهم لا يخلوا من أخذ الفوائد وتحقيق الأرباح الكبيرة والسريعة وكذلك من عمليات الاقراض والتصريف بسبب ارتفاع العمولة التي يتقاضونها(١٧٩).

ومن الآثار الناتجة عن ثراء النصارى في العراق أن أصبحت حياتهم توصف بالترف والنعيم والعيش الرغيد كما ورد في قول الجاحظ بأنهم : "اتخذوا البراذين الشهرية، والخيل العتاق...وتحدقوا بالمديني ولبسوا الملحم والمطبقة وأتخذوا الشاكرية..."وهم بذلك نافسوا المسلمين(١٨٠).

اما بالنسبة لموقف السلطة العباسية من فقراء النصارى فإن وصية ابي يوسف للرشيد في رعاية فقراء أهل الذمة وإسقاط الجزية عنهم تدل على فرضها عليهم قبل ذلك(١٨١) وإن هذه المعاملة في عدم جباية الجزية من الفقراء ظل سائداً في العصور العباسية اللاحقة، ومن جانب آخر لم يُعثر على أي اشارة صريحة بشأن تخصيص رواتب او مساعدات للفقراء النصارى الا ما ذكره ابن الأثير من أن أحد وزراء عضد الدولة البويهي حيث قام وبأمر السلطان سنة (٣٦٩هـ / ٩٧٩م) بعمارة بغداد وأوكل عمارة البيع والأديرة واطلاق الأموال لفقراء النصارى (١٨٢) .

اما الآثار السلبية لتعامل العباسيين غير الايجابي مع النصارى فقد ادت الى زعزعة النظام السياسي والقيام بالمؤامرات ضد ذلك الحاكم، وهو ماقام به عبد الله بن سليمان بن وهب النصراني بالتحريض على المعتمد العباسي والاشتراك بمؤامرة مع الامير الموفق ضد المعتمد(١٨٣) بعد ان صادر مبلغ خمسمائة الف دينار من والده الوزير سليمان بن وهب بعد ان رفض اعطاءه مالا لداره وحرمه وخاص نفقته وان لايعلم الجند به(١٨٤).

واضطرت بعض الأسر النصرانية الثرية في بغداد ترك مناطقهم ومحال سكناهم ونزحوا الى مناطق أخرى هرباً من المصادرات المستمرة [١٨٥].

وبسبب الثراء الفاحش الذي وصل اليه الصيارفة فقد تعرضوا للسرقة من قبل اللصوص، ففي سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) هاجم اللصوص منزل احد الصيارفة وسرقوا الاموال والذهب والفضة بقيمة ثلاثين الف دينار[١٨٦]، وفي سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) قتل احد الصيارفة بعد ان تعرض منزلة للسرقة[١٨٧].

الهوامش والمصادر:

[١] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ١٢٦.

[٢] الصابي: تاريخ الوزراء، ١٢٩.

[٣] القلقشندي: صبح الاعشى، ٥/ ٤٩٠-٤٩١.

[٤] غود فرو: النظم الاسلامية، ١٤٤-١٤٥.

[٥] يحيى بن ادم: الخراج، ٦٤؛ ابن قدامة: المغني، ٤/٧؛ المقريزي: الخطط، ١٣٠/٢؛ فليب حتي: تاريخ العرب، ٤٠٦.

[٦] ابن قيم الجوزية: الشروط العمرية، ١٢٠- ١٢٢؛ الجومرد: داهية العرب، ٣٨٨.

[٧] القلقشندي: صبح الاعشى، ٢٨/١٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ٩٨/١؛ حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام، ٢٩٦/٣.

[٨] ابو يوسف: الخراج، ١٣٣.

[٩] ابو يوسف: الخراج، ١٣٣-١٣٤؛ فييه: أحوال النصارى، ٨٦.

[١٠] اليعقوبي: البلدان، ٢٣٥؛ العلي: أدارة بغداد ومراكزها في العصور العباسية الاولى، ١٤٢/١.

[١١] ابن متي: أخبار فطاركة، ٨٢.

[١٢] ابن يعقوب: موجز تاريخ يهود بابل، ٦٠.

[١٣] د. جان موريس فييه ، أحوال النصارى ، ص١٣٤ ، ١٣٩ .

[١٤] د. جان موريس فييه ، أحوال النصارى ، ص١٣٤ ، ١٣٩ .

[١٥] شيخو ، وزراء النصرانية ، ص٣١ ، ٣٢ .

[١٦] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٦٢/٩؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ١٤/٧.

[١٧] بجكم: أحد الأمراء الأتراك تولى في بغداد منصب إمرة الأمراء أواخر فترة التسلط التركي وكان يفهم اللغة العربية ولا يتكلم بها خوفاً من الخطأ واستقر بواسط سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥١/٦.

(١٨) الصولي: اخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ١٩٨.

(١٩) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٢٧؛ مسكويه: تجارب الامم، ٥٢٧/١-٥٢٨؛ الدوري: النظم الاسلامية، ١٣٤.

(٢٠) ابن القيم الجوزية: احكام اهل الذمة، ٢٢٤/١؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ١٣/ ٣٦٨.

(٢١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/١١.

(٢٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٨/٩؛ الذهبي: العبر، ٢٦٦/١.

(٢٣) شيخو ، وزراء النصرانية ، ص٣٢ .

(٢٤) ابن العبري: مختصر الدول، ١٢٥.

(٢٥) ابن جلجل الاندلسي: طبقات الاطباء والحكماء، ٦٤؛ القفطي: اخبار العلماء، ٧٢؛ ابن ابي اصيبعه: عيون الانباء، ٢٠١.

(٢٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢١١/٩؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ٨٥/٧.

(٢٧) اخبار العلماء، ٧٣؛ ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء، ٢٠٢؛ ابن العبري: مختصر الدول، ١٤٤.

(٢٨) القفطي: أخبار العلماء، ١٠٢؛ ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء، ٢١٠.

(٢٩) الهمذاني: التكملة، ٢٦٣.

(٣٠) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥ ، ص١٦٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٦٦ .

(٣١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٠/١١.

(٣٢) القفطي: تاريخ الحكماء، ١٠١.

(٣٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ١٨.

(٣٤) أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٥.

(٣٥) نقل عن الامام ابي حنيفة " انه يجوز للسلطان ان يستقرض لبيت المال إذا كان في بيت المال قلة وبالمسلمين ذلة " والظاهر ان هذه الفتوى شجعت الخلفاء والسلاطين والأمراء على هذا الأمر ، ثم أباحوا لأنفسهم ان لا يردوا الأموال فكان قرضاً على شكل مصادرة ، ينظر، الزبيدي، المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحق الصابي، ص٨٩ .

(٣٦) تحسين حميد مجيد ، المصادرات ، ص١٩٣ .

(٣٧) تحسين حميد مجيد ، المصادرات ، ص١٩٧ ، ١٩٩ .

(٣٨) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٦٥ .

(٣٩) الصولي ، اخبار الراضي ، ص٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤٠) ينظر ، تحسين حميد مجيد ، المصادرات ، ص١٧٠ – ١١١ .

(٤١) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ٢٣١.

(٤٢) البريدي: هو ابو عبد الله احمد البريدي، وهم من أهل البصرة، تقلد هو واخوته مناصب في ولاية الاهواز، وامتازت سيرتهم بالخديعة والمراوغة وسيطروا على عدة مدن حتى احتلوا بغداد عام (٣٣٠هـ)، توفي ابو عبد الله سنة (٣٣٢ هـ)، وقضي على امرهم عام (٣٣٣هـ). ينظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٦١ – ٢٦٢؛ تقي الدين عارف الدوري، عصر أمرة الأمراء، ص١٢٧ – ١٤٧ .

(٤٣) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ١١١/٤.

(٤٤) الجوالي: وهو الديوان الذي يستوفي الجزية من أهل الذمة على مقتضى المذهب الشافعي، ينظر ابن الساعي ، الجامع المختصر، ج٩، ص٢٦، والجوالي: جمع جالية، أصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطناً آخر، كما إنها تستعمل مكان لفظة (جزية) ينظر، الأب سهيل قاشا، المسيحيون، ص٢٦، وهي أيضاً نسبة الى أهل الذمة الذين أجلاهم عمر بن الخطاب من جزيرة العرب، ثم صارت تشمل كل أهل الذمة الذين يدفعون الجزية وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه، وذكر أحد الباحثين ان الجوالي تشمل جماعة النصارى النساطرة القادمين من أراضي الدولة البيزنطية ومن بلاد فارس. ينظر: حسين مؤنس، عالم الاسلام، ص٢٥١ .

(٤٥) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ٢٥١.

(٤٦) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٢٧؛ مسكويه: تجارب الامم، ٥٢٧/١–٥٢٨؛ الدوري: النظم الاسلامية، ١٣٤.

(٤٧) أبن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج١، ص٢٢٤؛ القلقشندي، صبح، ج١٣، ص٣٦٨.

(٤٨) ينظر الضرائب والالتزامات المالية للنصارى (عشور التجارة) ص٢٩٨ ، ٣٠٠ .

(٤٩) أبن طيفور، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص٤١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢٦.

(٥٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢٦.

(٥١) والصراف هو من يقوم بتحويل الدنانير الى دراهم وبالعكس، وتبديل النقود لحل الفروقات بين نوعيات واوزان العملة. د . خالد إسماعيل الحمداني ، النظام المصرفي في الدولة الإسلامية دراسة تاريخية، ص ٦٨، د . حمدان الكبيسي، أسواق بغداد، ص ٢٧٠ .

(٥٢) البراقي ، حسن بن احمد تاريخ الكوفة (المكتبة الحيدرية) ، ص ١٦٧ .

(٥٣) سورة البقرة ، آية : ٢٧٥ .

(٥٤) سورة البقرة ، آية : ٢٧٦ .

(٥٥) د . حمدان الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ .

(٥٦) الصابئ، الوزراء، ص٨٠؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١١٥ .

(٥٧) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص١٦٥ .

(٥٨) الصابئ، الوزراء، ص٩٠-٩١؛ سفر نامة، رحلة ناصر خسرو، ص١٤٦؛ الشيخلي، الأصناف، ص٢٢.

(٥٩) أبن العبري، تاريخ الزمان، ص٦٥؛ الشيخلي، الأصناف، ص٢٢.

(٦٠) غودفروا، النظم الإسلامية، ص٢٢٠.

(٦١) ابن الاخوة: معالم القربة، ٧٠.

(٦٢) التعزير: هو عقاب المخالف لأمور لم تُشرع فيها الحدود ويترك العقاب فيها لولي الأمر والتعزير أنواع مثل التوبيخ والزجر بالكلام والحبس والنفي عن الوطن والضرب. الماوردي، الأحكام، ص٢٣٧.

(٦٣) الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ٧٤.

(٦٤) الصولي: اخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ٢٢٩؛ محمود الشريف: العالم الاسلامي، ٣٨٢-٣٨٣؛ الدجيلي: بيت المال، ١٦٥.

(٦٥) يحيى بن أدم، الخراج، ص٦٤؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٣٠؛ حتي، تاريخ العرب، ص٤٠٦.

(٦٦) حبيب الزيات ، الديارات النصرانية ، ص ٤٩ .

(٦٧) ينظر، ياقوت الحموي، خزل والدال، ق٢، ص ١١٤، ١١٥؛ حبيب الزيات، الديارات النصرانية ، ص٤٩ ، ٥٠.

(٦٨) حبيب الزيات ، المصدر نفسه ، ص٤٩ ، ٥٠ .

(٦٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/٢١١-١٢١.

(٧٠) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١١١ .

(٧١) أبو عبيد ، المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

(٧٢) ينظر ، الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٠ ؛ القيرواني ، إبراهيم بن القاسم : مختارات من قطب السرور في أوصاف الانبذة والخمور ص ٦٩ – ٩٥ . عاقبت الدولة العباسية في كثير من عهودها من يعتدي على النصارى ومن يهينهم ويكسر جرار خمرهم التي يتاجرون بها ومنها عقوبة رجل يدعى ابن شقير سنة ٦٣٩ حينما اعتاد على كسر الجرار واهانة النصارى وهو من أهل محلة قراح ظفر ، ينظر ، ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ١٥٠ .

(٧٣) حبيب الزيات ، الديارات النصرانية ، ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ .

(٧٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، حبيب الزيات ، الديارات ، ص ٤٦ .

(٧٥) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٦٥ .

(٧٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥١٣ ؛ الخطيب الدمشقي ، البدور المسفرة ، ص١٤٢

(٧٧) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٥١١ ؛ الخطيب الدمشقي ، المصدر نفسه ، ص٥٢

(٧٨) المختار في الرد على النصارى ، ص ٦٤٠ .

(٧٩) قطربل ، قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر ، متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين . ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٨٠) سهيل قاشا ، نصارى العراق ، ص٢١٨ .

(٨١) الحصونة ، نشأة الحسبة ، ص٨٨ .

(٨٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٦ ، ص ١٢٦ ؛ آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ ؛ ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ صباح ابراهيم سعيد الشيخلي ، الأصناف في العصر العباسي ، (وزارة الثقافة والاعلام – بغداد / ١٩٧٦) ، ص٣٢ .

(٨٣) ينظر الجاحظ ، رسائل ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٨٤) الصابي ، ابو الحسن هلال بن المحسن ، تاريخ الصابي ، (دار الكتب العلمية – بيروت / ٢٠٠٣) ، ص٦٠ ؛ حمدان الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص ٣٣٢ ؛ صباح الشيخلي ، الأصناف ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٨٥) ابن سلام ، الاموال ، ص١١١ .

(٨٦) د . حمدان عبد المجيد الكبيسي ، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ كي استرنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٠٩.

(٨٧) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢٩٤؛ آدم متز ، تاريخ الحضارة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٨٨) الاستبصار في ما اختلف من الأخبار ، ص ٩١٤ .

(٨٩) صباح الشيخلي ، الأصناف ،-- ٧٣ .

(٩٠) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٩١) فييه، أحوال النصارى، ص٩١.

(٩٢) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص ٩٤ – ٩٥

(٩٣) صبيح نوري الحلفي ، الهبات والخلع والهدايا ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ .

(٩٤) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص ١١٥ .

(٩٥) د . حمدان الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص ١٧٣ .

(٩٦) ابو يوسف، الخراج ، ص ٢٥٢ .

(٩٧) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص ١٠٨ .

(٩٨) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٩٩) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٥٢٨

(١٠٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٢٨

(١٠١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥٣٧ .

(١٠٢) سهيل قاشا ، لمحات ، ص١١٠ .

(١٠٣) ينظر القاضي الرشيد، الذخائر والتحف ، ص١٧، ٥٩،١٨،٦٠ ، ٧٠، ٢١٨ ؛ابن الفقيه الهمداني ،بغداد مدينة السلام ،ص٥٤.

(١٠٤) الجهبذ وهو الناقد أو النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد. الزبيدي، تاج العروس، مادة جهبذ، ج ٢، ص ٥٨٨.

(١٠٥) خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٤٧

(١٠٦) أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي، من وزراء الدولة العباسية ، ولي وزارة المنصور بعد خالد بن برمك (جد البرامكة) وأحسن القيام بالأعمال، ثم فسدت عليه نية المنصور، فأوقع به وعذبه وأخذ أمواله، وكان لبيبا فصيحا، أصله من موريان إحدى قرى الاهواز توفي سنة (١٥٤هـ/٧٧١م). البلاذري، انساب الاشراف، ج٤، ص٢٤٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٢٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٤١٠.

(١٠٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٧٤ ؛ الوطواط ، جمال الدين محمد بن إبراهيم ، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ، ص ٣٧٧ .

(١٠٨) التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(١٠٩) الجدير بالذكر أن هؤلاء الجهبذين لم يكونا نصارى بل كانا يهوديين ، ينظر ، عريب ، صلة تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٦٩ .

(١١٠) الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ .

(١١١) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب ، تولى الجباية في أعمال فارس واستوزر عدة مرات و قبض عليه بمكيدة سنة ٣٢٤ هـ وعذب وصودرت امواله، وعذب حتى توفي سنة ٣٢٨ هـ ودفن في ببغداد . ينظر ، عريب ، صلة تاريخ الطبري ، جـ ١١ ، ص ١١٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(١١٢) عريب ، صلة تاريخ الطبري ، جـ ١١ ، ص ١١٨ .

(١١٣) خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(١١٤) حامد بن العباس: هو أحد وزراء الخليفة المقتدر بالله نال الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) وانتهى أمرهٌ بأن عزلهٌ المقتدر سنة٣١١هـ/ ٩٢٣م وقبض عليه وأُرسلَ إلى واسط فمات فيها مسموماً. أبن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص١٨٠.

(١١٥) الصابئ، الوزراء، ص٢٤٥-٢٤٨.

(١١٦) أبن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج١، ص٢١٦.

(١١٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٦٣؛ الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٤٥٣-٤٥٩.

(١١٨) التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٠٠-١٠١.

(١١٩) الجهشياري، الوزراء والكتاب،ص١٢٦.

(١٢٠) الصابي، الوزارء، ص٢٩.

(١٢١) ماري بن سليمان، أخبار فطاركة، ص٦٨.

(١٢٢) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢١١ .

(١٢٣) قصر الجعفري: وهو القصر الذي بناه المتوكل قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة وانتقل إليه المتوكل وأقطع قواده قطائع بالقرب منه فصارت أكبر من سامراء. ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤.

(١٢٤) بيت مال الخاصة: وهو بيت مال الخليفة ويشكل مؤسسة مستقلة لها مواردها ومصروفاتها إضافة لكونها خزانة احتياطية للدولة تعتمد عليها في حالات الطوارئ والعجز المالي وكثيراً ما تستخدم لتغطية النفقات الخاصة بالخليفة. الشابشتي، الديارات، ص١٠١.

(١٢٥) عريب، صلة تاريخ الطبري ، جـ ١١ ، ص ١٠٨.

(١٢٦) المسعودي، مروج، ج٤، ص٧٨.

(١٢٧) الصابئ، الوزراء، ص٣٧.

(١٢٨) البير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .

(١٢٩) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٤ ، د . جان موريس فييه ، أحوال النصارى ، ص ٢٢٣ .

(١٣٠) أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج٢, ص١١٥؛ ابن الفوطي, الحوادث الجامعة, ص٦٧.

(١٣١) البيهقي, المحاسن والمساوئ, ص١٨١- ١٨٢؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٣٠.

(١٣٢) التنوخي, نشوار المحاضرة, ج٨, ص٢٤٥.

(١٣٣) القفطي, تاريخ الحكماء, ص١٤٨؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٤٥- ١٤٦.

(١٣٤) التنوخي, الفرج بعد الشدة, ج٤, ص٢٢٠؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٣٢.

(١٣٥) أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٧٣.

(١٣٦) الفضل بن الربيع بن يونس صاحب هارون الرشيد. ينظر: أبن خلكان, وفيات الأعيان, ج٣, ص٢٠٥- ٢٠٨.

(١٣٧) أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٧٣.

(١٣٨) القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٥٢.

(١٣٩) أبن أبي أصيبعة، طبقات االاطباء، ج١، ص١٤٢.

(١٤٠) أبن العبري، تاريخ الزمان، ص٤٠.

(١٤١) أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٤٦.

(١٤٢) أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٠.

(١٤٣) القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤٧؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٤٥.

(١٤٤) أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص٢٠٢؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٧.

(١٤٥) الصابئ، الوزراء، ص٢٤، ص٢٦-٢٧.

(١٤٦) القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤٨؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٤٥-١٤٦.

(١٤٧) أبن طيفور، أحمد بن طاهر، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص٤١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢٦.

(١٤٨) القفطي، تاريخ الحكماء، ص٣٤٢؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٢٤-١٢٥.

(١٤٩) ينظر ، صبيح نوري الحلفي ، الهبات والخلع والهدايا ، ص٩٨ - ١٠٠ .

(١٥٠) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(١٥١) اليوزبكي ، النظم الاسلامية ، ص١٥٣ .

(١٥٢) أبو يوسف، الخراج، ص ١٣٣،١٣٤ ؛ فييه، أحوال النصارى،ص٨٦.

(١٥٣) البلاذري ، المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(١٥٤) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٦٩ .

(١٥٥) ابو يوسف، الخراج ، ص٢٥٠ - ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ .

(١٥٦) فخر الدولة ، ابي الحسن علي ، أحد أولاد ركن الدولة بن بويه بن فناخسرو ، كان مما وزع عليه من تقسيم السلطة حيث منحت له حكومة همذان والدينور ، جرت بينه وبين عضد الدولة تنافر وقطيعة حتى آل الأمر الى اجتياح جيوش عضد الدولة ملكه فخرج ملتجأ الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، فأكرمه ، وقد رجع الى ملكه

بعد حوادث ، توفي بقلعة طبرك سنة (٣٨٧هـ) ، ينظر ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٤٠٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٨٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٢٥٠ ؛ ابن بابه القاشاني ، رأس مال النديم ، ص٢٢٥ .

(١٥٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٠، ص٢٧ .

(١٥٨) ابا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، كاتب عز الدولة، ثم قلده الوزارة خلفا للمهلبي سنة (٣٥٧هـ/٩٦٨م)، مات في السجن بعد ان حبسه عز الدولة سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، وقيل مات مسموما. ينظر: الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ٤١٤؛ ابن الاثير: الكامل ٣٣٧/٧.

(١٥٩) ماري بن سليمان ، المصدر نفسه ، ص١٠٢ ، وينظر ، ألبير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٢٠٦ .

(١٦٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٠ ، ص٢٨ .

(١٦١) د. جان موريس فييه ، أصول النصارى ، ص١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ .

(١٦٢) الأب ألبير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، ج٢ ، ص٢٠٦ .

(١٦٣) ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الشيباني: المثل السائر، ج١، ص٨٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٨.

(١٦٤) ابو نصر سابور بن اردشير، وزير بهاء الدولة وشرف الدولة، كان من اكابر الوزراء، جمعت فيه الكفاية والدراية، اسس مكتبة كبيرة ببغداد فيها اكثر من عشرة الاف مجلد، بقيت سبعين سنة، احرقت عند مجيء طغرلبك سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، ولد سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م)، توفي سنة(٤١٦هـ/١٠٢٥م). ينظر: ابن الجوزي: المنتظم١٧٢/١٥؛ ابن الاثير: الكامل١٥٤/٨؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان٣٥٤/٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء٣٢٥.

(١٦٥) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص١٠٨.

(١٦٦) أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج٢, ص١١٥؛ الفوطي، الحوادث الجامعة, ص٦٧.

(١٦٧) القفطي, تاريخ الحكماء, ص١٤٣؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٣٧.

(١٦٨) البيهقي, المحاسن والمساوئ, ص١٨١– ١٨٢؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٣٠.

(١٦٩) التنوخي, نشوار المحاضرة, ج٨, ص٢٤٥.

(١٧٠) القفطي, تاريخ الحكماء, ص١٤٨؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٤٥– ١٤٦.

(١٧١) التنوخي, الفرج بعد الشدة, ج٤, ص٢٢٠؛ أبن أبي أصيبعة, طبقات الأطباء, ج١, ص١٣٢.

(١٧٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٧٧ .

(١٧٣) كان سبب اقطاعه هذا المال العظيم انقاذه الرشيد بسبب تخمة اصابته من شدة الشبع وخلطه الطعام ، ينظر ، ابن الجوزي ، الاذكياء ، ، ص١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٧٤) ابن الجوزي، الاذكياء ، ص١٧٤ .

(١٧٥) ابن الجوزي، الاذكياء ، ص١٧٧ – ١٧٨.

(١٧٦) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص١٨٣ .

(١٧٧) ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٨٤ .

(١٧٨) ماري ، أخبار فطاركة ، ص٩٦ ؛ روفائيل بابو اسحق ، أحوال النصارى ، ص٦٠ ؛ الأب ألبير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ .

(١٧٩) د. حمدان الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص٢٧١؛ فهد، تاريخ العراق، ص٣٥٤.

(١٨٠) المختار في الرد على النصارى ، ص٦٣ .

(١٨١) الخراج ، ص٢٥٠ .

(١٨٢) الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٣٨٨ .

(١٨٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٩٧.

(١٨٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٩٦.

(١٨٥) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٧١ .

(١٨٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣١.

(١٨٧) أبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٥٥.